مدخل لكتابة التاريخ العربى

أ . د . عاصم الدسوقى

مصطلح التاريخ العربى / الأمة العربية :

درج الغرب الأوربى على تقسيم المنطقة العربية من المحيط إلى الخليج إلى أربعة أقسام ، وكل قسم يضم أجزاء معينة ترتبط بدائرة مصالح السياسة الغربية ولا ترتبط بالمصالح العربية ؛ فمنطقة سوريا الكبرى والعراق (النصف الشمالى من شبه الجزيرة العربية) تعرف باسم « الشرق الأدنى » الذى يضم إيران وباكستان ، ثم حل محله مصطلح « الشرق الأوسط » الذى أصبح سائدا بعد الحرب العالمية الثانية ويضم ذات الدائرة بالإضافة إلى تركيا . والقسم الثانى يُعرف بالجزيرة العربية ، ويضم الحجاز ونجد (المملكة العربية السعودية فيما بعد) ، واليمن وساحل عمان . أما القسم الثالث فيتكون من مصر والسودان . والقسم الرابع يعرف بشمال إفريقية ويضم بلاد المغرب العربى (ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش « المغرب »).

وقد ظلت هذه التقسيمات سائدة فى دوائر السياسة الغربية بل وفى الدوائر الأكاديمية بجامعات الغرب الأوربى وخاصة إنجلترا وفرنسا حتى بعد أن تحررت البلاد العربية من سيطرة الإمبريالية الغربية ، وبعد أن أصبحت العروبة نظرية كل العرب فى تحقيق الوحدة العربية بأى درجة من الدرجات . ولا يخفى أن

تفضيل الغرب لمصطلح « الشرق الأوسط » على وجه الخصوص له دلالته ؛ لأنه يدخل إسرائيل ضمن حدود المنطقة على حين أن مصطلح العالم العربى أو الشرق العربى يستبعدها . وهذا الموقف ما يزال مستمرا إلى الآن وتبدو دلالته فى مصطلح « السوق الشرق أوسطية » . ومن ناحية أخرى فإن استخدام مصطلح العالم العربى يعنى اعتراف الغرب بوجود أمة عربية وهو أمر مرفوض سياسيا من قديم ؛ إذ من المعروف أن السياسة البريطانية مثلا منذ مطلع القرن العشرين ووفقا لتقرير كامبل بنرمان (١٩٠٨) تستهدف تجزئة بلدان العالم العربى وتقديس الحدود التى تم اصطناعها بين مناطق النفوذ الأنجلو - فرنسى بالدرجة الأولى . ولعل محافظة الغرب الأوربى - الأمريكى على التجزئة ، بل وتفكيك الوحدات القائمة يمثل منهج التوجه العالمى الجديد المعروف بالجلوبالية . ومنذ الخمسينات أصبح مصطلح « الأمة العربية » يمثل محورا أساسيا فى سياسات الحكومات العربية التى تتحرر من الاستعمار ، وتحددت حدود هذه الأمة جغرافيا بالمنطقة الواقعة فى مستطيل كبير من الخليج العربى شرقا وحتى المحيط الأطلنطى غربا . وتحددت قوميا باللغة الواحدة (اللغة العربية) ، وبالتاريخ المشترك الذى صنع ويصنع بالضرورة المصالح المشتركة .

وعلى هذا الأساس فإن التاريخ العربى يبدأ من التاريخ المشترك لأبناء تلك المنطقة المحددة سلفا . والحق أن هذا التاريخ المشترك يبدأ منذ انتشار الإسلام فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى الذى حمل معه اللغة العربية التى سرعان ما أصبحت لغة شعوب المنطقة سواء اعتنق أهلها الدين الجديد أو ظلوا

على عقائدهم . ومما زاد من تعميق أواصر العروبة بين أهل المنطقة وتدعيمها على مر التاريخ – ما صاحب الفتوحات العربية من اختلاط الأعراق والأنساب حيث انصهر الجميع فى بوتقة واحدة ميزتهم باللغة عن سائر المناطق التى انتشر فيها الإسلام ولم يتكلم أهلها العربية مثل بلاد فارس وما وراء النهر حتى حدود الصين ومناطق من شرق إفريقيا وغربها الأوسط .

أما قبل انتشار الإسلام (صانع التاريخ المشترك) فى تلك المنطقة فكان لكل شعب من شعوبها حضارته الخاصة به وتاريخه المستقل عن الآخر بصرف النظر عن الاتصالات بينها سواء أكانت للتجارة والتبادل أم للتوسع فى إطار المجال الحيوى .

المنهج

على أساس حدود التعريف السابق لمصطلح التاريخ العربى / الأمة العربية يكون تناول تاريخ الأمة العربية باعتبارها أمة عربية واحدة وليست دولًا عربية منفصلة ، بصرف النظر عن حقيقة الحدود السياسية القائمة والشخصية الدولية لكل دولة .

وفيما يلى خطة المشروع التى تنطلق من هذا المفهوم . والخطة تتبع التقسيم الزمنى على أساس علامات التاريخ السياسى تسهيلا للدراسة مع عدم إغفال التناول الموضوعى لمجمل التاريخ الاقتصادى – الاجتماعى ، والمؤسسات السياسية ، والعلاقات الخارجية ، ومختلف الأوجه الحضارية والثقافية على نحو ما سيأتى ذكره .

خطة الدراسة

- مدخل: يتناول فى إيجاز الحضارات القديمة فى المنطقة قبل منتصف القرن السابع الميلادى (على سبيل المثال: الحضارة الفرعونية / الآشورية - البابلية / الفينيقية / اليمن القديم / بربر شمال إفريقية ... إلخ).

القسم الأول: (عصر الحكومة المركزية الأول).

ويتناول تحويل المنطقة إلى ولايات عربية - إسلامية تحكم بولاة من قبل الحكومة المركزية: الخلفاء الراشدون (المدينة المنورة) / الدولة الأموية (دمشق)/ الدولة العباسية (بغداد).

القسم الثانى: عصر الدويلات (انهيار الحكومة المركزية).

ويتناول الأسر التى حكمت مناطق بعينها منذ أواخر عهد الخلافة العباسية سواء حكمت بشكل تابع للحكومة المركزية (الخلافة) وأخذوا لقب الأمير مثل: الحمدانيين / الطولونيين / الأخشيديين / الأيوبيين، أو التى حكمت تحت اسم الخلافة مثل خلفاء الأندلس / الخلافة الفاطمية.

القسم الثالث: (عصر الحكومة المركزية الثانى).

ويتناول الحكم العثمانى الذى سيطر على البلاد العربية من إستانبول سواء كان الحكم بطريق مباشر عن طريق إرسال الوالى من العاصمة المركزية أو كان بواسطة أسر معينة حكمت باسم السلطان العثمانى وخاصة فى المناطق الجبلية فضلا عن السيادة الإسمية العثمانية لبعض المناطق.

القسم الرابع : (العرب تحت حكم الاستعمار الأوربى) .

ويتناول دراسة الوجود الأوربى فى المنطقة ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر – مع حركة الكشوف الجغرافية فى العصر التجارى – ثم التوغل فى داخل المنطقة فى عصر الرأسمالية الصناعية ابتداء من القرن التاسع عشر ، ثم السيطرة على النشاط الاقتصادى فى عصر الرأسمالية المالية ... إلخ .

القسم الخامس : (حركة التحرر الوطنى العربية) .

ويتناول دراسة مقاومة الاستعمار الغربى ونفوذه السياسى والاقتصادى حتى تحقيق الاستقلال .

القسم السادس : (الوحدة العربية) .

ويتناول الإطار النظرى للفكرة القومية والقومية العربية على وجه الخصوص ، ومختلف الجهود لتحقيق أى شكل من أشكال الوحدة العربية ، ابتداء من الجامعة العربية وانتهاء بالوحدات الثنائية أو سياسات التنسيق بين مجموعة معينة .

خاتمة : تتناول نظرة مستقبلية لإشكالية الوحدة العربية بين الدولة الواحدة / الفيدرالية / الكونفيدرالية /العالمية الجديدة .

النقاط الأساسية التى يجب دراستها فى كل قسم من أقسام الخطة :

– النشاط الاقتصادى ويشمل : الإنتاج فى سائر مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والخدمات ، والنظم الاقتصادية وكذا السياسات المالية ... إلخ

- الحياة الاجتماعية وتشمل: تكوين الطبقات الاجتماعية وحركتها المرتبطة بالإنتاج السائد مع مجمل العادات والتقاليد، وكذلك مجتمعات الطوائف والجاليات.

- الحياة السياسية وتشمل: دراسة القوى السياسية والصفوة الحاكمة والأجهزة السياسية ومؤسساتها التشريعية والتنفيذية، وكذا متابعة حركة القوى السياسية المعارضة.

- التعليم والثقافة والجوانب الحضارية المختلفة.

- العلاقات بين المركز (الحكومة المركزية) والهامش (الولايات التابعة)، والعلاقات بين المركز نفسه والقوى الخارجية (العلاقات السياسية الخارجية).

* * *

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية